القرآن الكريم والدين الواحد وملة إبراهيم

رضوان السيد ■

تتكـرر في القـرآن الكريم ثلاثـة تعبيرات عن الدين الواحد: الدين، والإسلام، وملّة إبراهيم:

أولاً: في الدين الواحـد. والآيةُ الجامعةُ في تاريخه وأنبيائـه ومضامينه، مـا جاء في سـورة الشورى: 13 من قوله تعالـى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾، ومـا جاء في سـورة البقرة: 136 من قولـه تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾. ففـي الآيـة الأولى توضيح أنّ الدين مشتَرَعٌ من الله ﷻ، وفي

■ مفكر وأكاديمي من لبنان، ومستشار تحرير مجلة التفاهم.

الآيــة الثانية أنّ المشتَرَع هو الإيمانُ باللّه. وفي الآيتين تعدادٌ للدعوات التي أكَّدت على الدين الواحد أو أنها جاءت به مراراً وتكراراً لكي لا تبقى لأحدٍ حُجّــة فــي الغموض أو في عدم بلوغ الدعوة. وفي الآيتين نهيٌ عن التفرُّق أو الاختلاف في فهم الدين أو في الولاء لدُعاته وأنبيائه. وفي الآيتين أنّ دعوة محمــدٍ ﷺ تنتظمُ في دعوات الأنبياء من قبله من نوحٍ إلى إبراهيم وذريته وموسى وعيسى إلى آخِر الأنبياء. وتنفرد آيةُ الشورى بذكْر المشركين، الذين صعُــب عليهــم قبول دعوة النبيين. وتأتي الصعوبــة ليس من قلة الوضوح أو قصــور الدعوات؛ بل مــن إقفال القلوب، كما يعبِّر القــرآن تارةً، وطوراً كما فــي آية الشورى مــن الكبرياء. فهناك إذن اشتراع الديــن الواحد، ودعوات الأنبياء عبر الأحقاب إليه، واحتلال سيدنا إبراهيم موقعاً مركزياً فيه، وبلوغ تلــك الدعوة المباركة ذروتها واكتمالها وخاتمتها برسالة محمدٍ صلوات اللّه وسلامُهُ عليه.

ثانياً: الإسلام: التعبير عن الدين بأنه الإسلام أو إسلامُ الوجه للّه، هو الصيغــةُ الأخرى للدين الواحد، وللوحدانية، والخلاصةُ المعبِّرة والواضحة لمغــزى وغايــات دعوة سائر الأنبيــاء. ففي سورة آل عمــران: 19 يرد قولُهُ تعالــى تقريــراً: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾، وفــي الســورة نفسِها: 85 ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، وتأتي الخسارةُ من أنّ الذي لا يعتنق الدين الواحدَ ـ أي الإسلام ـ يكونُ قد وقــع في الشِــرك أو الإلْحاد. وإنسانٌ هذا شأنه سيكونُ خاسراً يوم القيامة والحســاب، حيــث الوحدانيةُ هي العاصمُ من العــذاب؛ ولذلك فإنّ الإيمان بــاللّه الواحد نعمةٌ هــي نعمة الإسلام؛ كما جاء في قولــه تعالى في سورة المائــدة: 3 ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾. فالإســلامُ نعمــةٌ؛ لأنه هو الدين، وهــو الذي يعني الاكتمال، وحصــول النعمة التامّة. والمصطلح إبراهيمي (الحج: 78)؛ لكنه ربما كان

قـد نسـي في عصر دعوة النبـي، ولذلك كثُرت الجـدالاتُ من جانب أهل الكتاب بشأن هذا اللفظ، وشاركهم في ذلك المشركون. وخُلاصةُ الجدال: لمـاذا لم يُسمِّ القـرآنُ الدعوة الجديدة باسم دعوة عيسى، ودعوة موسى. وإجابـة القرآن أنّ تلك أسماء خاصة ما أطلقها الأنبياء أنفُسُهُم؛ بيد أنها من جهةٍ أُخرى ليست جديدةً حقاً؛ لأنها ليست اسماً خاصاً، كما صار من بعـد؛ بل كان المقصـودُ بها تجاوُز التسميات الخاصـة إلى المضمون وهو إسـلامُ الوجه لله لا أكثر. فالمسيحيُّ مسلمٌ إذا أخلص للوحدانية، وكذلك اليهـودي. ففي «الإسلام» خروجٌ من الخـلاف إلى الاتّفاق، وهو خروجٌ من الصراع على الاستئثار بالحقيقة الإيمانية إلى جَعْلِها مقولةً واضحةً وشائعة ومشتركـة. والقرآن واضـحٌ في هذه الجهة؛ بيد أنّ عدم إقبال جمهور أهل الكتـاب علـى دعوة الديـن الواحد حوَّل «الإسلام» مـن وجهة نظرهم ـ بل ونظر المسلمين من بعد ـ إلى دينٍ ثالث.

ثالثـاً: ملّـة إبراهيم: يرد ذكْر إبراهيم أبي الأنبياء عشرات المرات في القـرآن الكريـم، ومنذ السُوَر المكية الأولى، ويرتبـط ذكْرُهُ أحياناً (كما في سورتي الشـورى وآل عمران) بالأنبياء الآخرين، والدعوات الأُخرى؛ بل وأنه أصـلٌ فـي دعوة التوحيد التي اشترعها الله ﷻ بيـن آدم ونوح. ويردُ ذكره في سورة البقرة (125 ـ 132) مرتبطاً بالكعبة وبنائها باعتبارها بيتاً مقدَّساً ومثابـةً للدعـوة الإلهية التوحيديـة، فكأنما جُعلت الكعبة منـذ أيام إبراهيم مستقـراً لدعـوة التوحيـد في هـذه الأرض القَفـر، التي أزهـرت وازدهرت بسبـب دعـوة التوحيد بالـذات، والتي حملهـا إسماعيل عليه السلام بعـد أبيه إلى خـارج فلسطيـن، وإلى العالم من خلال حفيده محمد. لكنْ عندما يرد ذكر إبراهيـم عليه السلام بمفرده في القـرآن يقترن بالمِلّة، وهي الديـن بالطبع، لكنْ أيضاً المنهج والمسار: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [آل عمران: 95]. وهكـذا يتكـرر المصطلح بتكـرر ذكْر إبراهيـم مقترناً دائمـاً بالملّة. وعلى

سبيل المثال: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: 130]. ومع أنّ مفرد «حنيف» يرد في أحيانٍ قليلةٍ مقترناً بالدين الواحد؛ من مثل: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يونس: 105]؛ فإنه في الأعمّ الأغلب يُذكَرُ مقروناً بملّة إبراهيم؛ من مثل: ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: 125] ومن مثل: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: 123]. وإلى جانب مفرد (الحنيف) يرد كثيراً مفرد (القيّم)؛ أي المستقيم عَلَماً على ملة إبراهيم أو سِمةً من سماتها؛ من مثل: ﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنعام: 161]. ويقول المفسِّرون: إنّ «الحنيف» ذات أصل غير عربي وتختلف تفسيراتُها؛ لكنّ اقترانها بالقيّم، تعني بالتأكيد أنّ معناها في القرآن المستقيم وغير المائل والمنحرف. وهكذا فإنّ وجود طائفة في الجاهلية باسم «الحنفاء» تعني أولئك الذين أرادوا التعبير عن بقائهم على ملّة إبراهيم، بعد أن صارت الحنيفيةُ عَلَماً على تلك الدعوة. وإذا كان معنى المِلّة النهج والمسار ـ كما يتبيَّنُ من قوله تعالى في سورة البقرة: 120 حكايةً عن اليهود والنصارى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ ـ فإنّ الدين الحنيف والقيّم، والملّة الحنيفية والقيّمة تعني الملة المستقيمة، بخلاف المِلَل الأُخرى، أو المسارات الأُخرى. وهكذا تعود الدائرة للاكتمال في ربط إبراهيم بالدين وبالملّة وبالإسلام في قوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: 78]. فالتسميةُ بالإسلام إطلاقٌ إبراهيميٌّ، وهو يعني النهج السليم أو المستقيم: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 67]. فإبراهيم عليه السلام هو صاحب الملّة أو النهج، وهو داعيةُ الدين الحنيف، وهو المسلمُ الأولُ إذا صحَّ التعبير. والقرآن الكريم عندما يُسمِّي دعوتَه الخاتمة باسم الإسلام إنما يعود بالناس إلى دين إبراهيم، بالنظر إلى أنه الأصل الأصيل لكلّ دعوات التوحيد.

إنّ ربط الإسلام والدين الواحد والمِلّة الواحدة بإبراهيم عليه السلام يتضمن بالنسبة ـ لنا نحن المسلمين، أتباع آخِر الدعوات ـ عدة اعتباراتٍ مبدئية:

ـ هناك هذه النقلة من نوحٍ عليه السلام إلى إبراهيم والأنبياء من ذريته، وهي نقلةً من المبدأ العَقَدي إلى التأسيس التاريخي، أو هي نقلةٌ من المبدأ الكوني إلى التأسيس الإنساني والعالمي، كما اقتضت إرادة الله سبحانه وحكمته. فما بين آدم ونوحٍ عليهما السلام كان الدين الواحد، وما بين إبراهيم ومحمد عليهما السلام ظهر الدين الواحد باعتباره مِلّةً حنيفيةً واحدة، وجماعات إنسانية تلتقي على الوحدانية في الاعتقاد، وعلى أخلاقيات الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر والسلوك.

ظلّ القرآن الكريم منذ السُوَر المكية الأُولى، وإلى أواخر السُوَر المدنية يؤكّد على الانتماء لإبراهيم، مِلّةً حنيفية

ـ وهناك ذاك الاستقرار مع إبراهيم ضمن الدين الواحد والمِلّة الواحدة على **الإسلام** باعتباره النهج الإلهيَّ الذي تضافرت عليه الدعوات النبوية والرسالية: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ ...﴾ [الحج: 78]. ويتأتّى توهُّمُ الحرج هنا من المجادلة في أمرين: علاقة الدين الواحد بالملّة الإبراهيمية، وعلاقة الإسلام بالدين الواحد وبإبراهيم عليه السلام. وقد أوضح القرآن أنّ الاعتصام بالإسلام هو اعتصامٌ بالدين الواحد، وبملّة إبراهيم معاً.

ـ وهناك ذلك الانتظامُ في النَسَب الإبراهيمي التاريخي والدعوي، فالنبيُّ محمدٌ صلواتُ الله وسلامُهُ عليه هو سليلُ إبراهيم عبر إسماعيل عليهما السلام؛ لكنّ الأُبـوَّة جاءت في الآية بالجمع، كما أنّ «المسلمين» لا يتحدرون جميعاً من

إبراهيم وإسماعيل نَسَباً؛ ولذا فإنّ النَسَب هنا يتخذُ طابعاً روحياً ودعوياً يجعلُ من النَسَب انتماءً دينياً وحضارياً كبيراً، وهو الأمر الذي يؤكّدُ عليه المسيحيون الأرثوذكس والكاثوليك، أكثر من الإنجيليين الذين يقيمون اعتباراً كبيراً للانتساب إلى الدين عبر يعقوب (= إسرائيل) بن إسحاق بن إبراهيم. وبهذا فإنّ إبراهيم يكون أباً وانتساباً لكلّ أهل الدين الواحد؛ فتُتابعُ الآية بعد ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾: ﴿وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: 78]. فشهادةُ الرسول هي على تقبُّل الناس للدعوة الإبراهيمية، وشهادة المتقبِّلين للدين والدعوة والملّة هي على الأمانة للدعوة وتبليغها إلى الناس والمسؤولية عنها في هذا العالم.

ـ وهناك أخيراً ذاك الارتباطُ الوثيقُ بين إبراهيم ودعوة محمدٍ من خلال بناء الكعبة بمكّة، والقرآنُ الكريم يُطْلِعُنا على تاريخِ التأسيس للملّة الإبراهيمية في ديار العرب بإقبال أبي الأنبياء على بناء الكعبة، واستخلاف ابنه عليها، وإيضاح مهامِّها التوحيدية، وكيف تحوّلتْ إلى قِبلةٍ للعبادة تهوي إليها الأفئدة، فتُزهر قِفارُ تلك الأرض المقدَّسة، وتعودُ الدعوةُ لتنتشر منها إلى أصقاع العالم، كما انتشرت من بيت المقدس مع عيسى عليه السلام.

فإبراهيم عليه السلام يأتمنُ أبناءه على الدعوة المباركة: ﴿يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 132]. ومحمدٌ عليه السلام ـ المتحدر منه نَسَباً، والمنتمي إليه ديناً ـ يردُ في القرآن على لسانه: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 161]. وهذا الدين ـ القيِّم الذي أؤتُمن عليه النبيُّ وقومُه لنشر الخير بين الناس ـ هو ذكرٌ ومسؤوليةٌ، كما كان عليه الشأن

لـدى آل إبراهيـم: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴾ [الزخـرف: 44]. فهـؤلاء المصطفَـون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمـران: 33]، ما كان اصطفاؤهـم لخصوصيةٍ نسَبيةٍ بل للأمانة فـي الاتّبـاع والأداء: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقـرة: 124]. والظالـمُ ظالمٌ لنفسـه بالإخلال بملّة أبيه، ولغيره بعـدم اتّباع الدعوة، وبالتالي عدم العمل على نشرها، أو أن يكون قُدوةً حسنةً في ذلك.

رابعـاً: الإسلام والبيت الإبراهيمـيُّ المشترك: ظلَّ القرآن الكريم منذ السُوَر المكية الأُولى، وإلى أواخر السُوَر المدنية يؤكّد على الانتماء لإبراهيم، مِلَّـةً حنيفيةً، ودينـاً قيِّماً وواحداً، ونَسَباً روحياً مشتركاً مع «أهل الكتاب» أي اليهـود والنصارى. وقد كان تصـوُّرُ النبيّ صلواتُ اللّه وسلامُهُ عليه للتعاون مـع أهل الدين الواحد فـي الأصل بإحدى الصيغتيـن: الذوبان في الإسلام باعتبـاره الصيغـةَ المكتملـة والمستقيمـة للدين الواحد، فـإنّ لم يكن ذلك ممكناً لأيِّ سبب، فيظلُّ التعاوُن والتناصُرُ ممكناً بل ومستحَباً ضمن القواسم المشتركـة الكبيـرة، مع بقـاء كلٍّ منهما علـى سبيله الخاصة فـي الاعتقاد والتنظيـم: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 64]. والتربُّب من دون اللّه يشمل الانحـراف العقدي، كما يشمـل دعوى الأقدمية فـي الإبراهيمية وفي الدين بشـكلٍ عام. وعندما لم يستجيبوا استقـرّ الأمر على الصيغة الثانية للتعاون والتضامُـن، والتي كانـت تسير حيناً، وتفشـل أحيانـاً. والمسؤولية في ذلك بعـد وفـاة رسول اللّه تقعُ علـى الطرفين. فعندما كان التعـاوُن يتحقق؛ فإنّ ذلـك ليس بسبـب الاقتناع؛ بل بسبب قوة الإسـلام، ولأنّ المسلمين أشركوا

علمـاء اليهود والنصارى في سائر مناحي الحضارة، والتجربة الأندلسية بل والبغدادية شاهدٌ واضحٌ على ذلك؛ بيد أنّ الفشل ما كان سببه عدم اقتناع «أهـل الكتـاب» بانتمـاء المسلمين إلى النَسَـب الإبراهيمي فقـط؛ بل بعض الإجـراءات السلطوية في الدولة الإسلامية، والتـي ما كان المسيحيون على الخصوص يستسيغونها، ثم جاءت الحروبُ الصليبيةُ فحدث ضررٌ كبيرٌ في العلائق ما أمكن إصلاحُهُ إلى أمدٍ طويل.

ولا يعنـي ذلـك أنّ العلائق في حُسْنها أو سوئها كانت قاصرةً على هذه الأمـور الخارجية؛ بـل إنّ علماء المِلَل الثلاث عـرف كلٌّ منهم دين الطرف الأُخرى معرفةً جيدةً وأحياناً جيدةً جداً. إنما كان كلُّ طرفٍ مهتماً بالردّ على الطـرف الآخر، وتسفيه اعتقـاده وممارساته؛ ولذلك فإنّ المعرفة ما حَرَّرت ـ كما قال السيد المسيح ـ لتعارُضها مع المصلحة، وفي التاريخ والحاضر.

ومع أنّ الأزمنة الحديثة شهدت تغيراً في العلائق بين الدين والدولة في أوروبا، وظهر نوعٌ من الاستشراق العلمي؛ فإنّ الأصل الإبراهيمي للإسلام ما جرى الاعتراف به؛ أي أنه ما جرى الاعترافُ بالإسلام باعتباره ديناً يمكن أن يكـون سبيلاً للخلاص، إلى حدود مجمع الڤاتيكان الثاني (1962ـ1965). أمّا الكنائس البروتستانتية والتي انفتحت على المسلمين منذ الخمسينات من القـرن الماضي ثقافياً وحوارياً؛ فإنّ لاهوتييهـا تأخروا أكثر من اللاهوتيين الكاثوليـك في ذاك الاعتراف. أمّا اللاهوتيون اليهود ـ والذين كان موقفهم مـن الإسـلام أفضـل فـي العصور الوسطـى ـ فإنهـم لم يميلـوا لشيء من الاعتـراف؛ للسوء البالغ في العلاقـات بعد استيلاء الصهاينة على فلسطين عـام 1948. ولدينـا الآن موروثـاتٌ حواريـةٌ مـع المسيحييـن الغربيين تمتد لأكثـر من نصف قـرن، ونتائجها ولا شكّ متواضعة؛ لكـنّ الاعتراف حصل بشـكلٍ أو بآخر، وتتوافر في العلاقـات مُصارحاتٌ وبعض وجوه التعاوُن؛ بَيْدَ

أنّ الطريـف هـو أنّ المسيحييـن الغربيين عندما تقابلهـم؛ فإنهم ينتظرون منـك عدة إداناتٍ قبل أن يبـدأ الحديث. لقد عادوا لتصنيفنا إلى معتدلين ومتطرفيـن، والاعتراف مشروطٌ بالاعتدال كما يفهمونه أو لا اعتراف، وهذا الأمـر يلقي شكوكاً على الاعتـراف بديننا بحد ذاته، كما يعترفون باليهودية رغـم اختلافاتهـم الجذرية معها فـي الاعتقاد، والتي تزيـد على الخلافات العقدية مع الإسلام.

علـى أنـه إذا كان واجباً علـى المسيحيين واليهود الاعتـراف بالإسلام وشراكـة أبنائـه فـي الإيمان ـ فـإنّ الواجب علـى المسلميـن تجديد الوعي بالأصـل الإبراهيمـي لديهـم، ومعنى ذلـك، وكيـف يتجلَّى الأثر فـي الفكر والحياة العملية. فمنذ زمنٍ طويلٍ صار الإسلام ديناً بشعائر وقيم وسلوكات معينة. وباعتباره الدين الكامل، ما عاد المسلمون يهتمون للأُصول من جهة، وللشـراكات مـن جهةٍ أُخرى. والرحابـة ـ كلّ الرحابة ـ إنما تأتي من هذين الأمريـن، وهما اللذان ينقـذان الإسلام من التشدد غيـر المسوَّغ، والتنازل غير المقبول في الوقتِ نفسه.